Razan & Kleib
نسمات الأدب
بكل قلم قصة
أسماء هيثم حمود

بكل قلم قصة

أسماء هيثم محمود

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب: بكل قلم قصة

المؤلف: اسماء هيثم محود

غلاف الكتاب: رزان محمد كليب

موك اب الكتاب: سها منصور

تنسيق داخلي: وسيم الزهري

تدقيق لغوي: رزان محمد كليب

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

إهداء:

في هالعالم المليان وجع كل واحد فينا حامل قلم، بس مو الكل بيكتب.

في ناس بتدفن الحكي جواتها وفي ناس بتحكي للعتمة وفي ناس، متلي، قررت تكتب.

هالرواية مو قصة وحدة هي وجوه، أصوات، قلوب عم تنبض بالحكي، حتى لو انكسر صوتها زمان.

بكل فصل راح تلاقوا قلم جديد يمكن تلاقوا حالكن بين السطور، يمكن تدمع عيونكن، أو تحسّوا إنو في حد غيركن مرّ بنفس النفق المظلم وطلع منه.

❊ ❊ ❊

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

"مش ناقصة"

في أشياء بالحياة ما منختارها، بتنولد فينا أو نحنا مننولد فيها، ما منختار شكلنا، ولا حالتنا، ولا بأي بيئة منعيش، بس للأسف العالم صارت تحاسب الشخص على شي الله كتبه عليه.

هي أول جملة كتبتها سيلين بدفترها. سكّرته بعصبية، ومسحت دمعة نزلت من عينها.

كان هالدفتر صديقها الوحيد، يلي بيعرفها أكتر من حالها، يلي ما بيحكم، وما بيجرح.

سيلين بنت عمرها 17سنة، بس الهم يلي شالته من هي وصغيرة، بيوجع الكبار.

انولـــدت طبيعيـــة، بـــس الحـــرب، والضـــغط، والأزمـــات غيّـــروا كـــل شـــي بجســـمها الصغير.

مـــرض نـــادر، نـــادر لدرجـــة إنـــو كـــل دكتـــور بيقـــرا تقاريرهـــا، بيهـــز براســـه وبيقـــول: "مـــا عنـــا عـــلاج، بـــس اســـتمري بـــالعلاج الفيزيائي."

نهـــار بـــارد مـــن ســـنة 2022، كانـــت ســـيلين متســـطحة علـــى التخـــت، تعبهـــا ظـــاهر علـــى ملامحها.

ســـيلين: مـــا عـــاد بـــدي روح عنـــد دكتـــور، مليت، فهموا ما في أمل!

ديمـــا (أمهـــا): لا تيأســـي مـــن رحمـــة الله، لســـا عمـــرك 15 ســـنة، وجســـمك عـــم

يســـتجيب شـــوي شـــوي. قـــومي البســـي، أبوكي ناطرنا.

راحـــوا عنـــد دكتـــور بالشـــام، وبعـــد انتظـــار طويـــل، قـــال الـــدكتور نفـــس الكـــلام: الأفضـــل تســـتمري بـــالعلاج الفيزيـــائي. فـــي أمـــل بسيط بعملية ممكن تحسّن المشي شوي.

رجعـــوا عالبيـــت، وســـيلين كانـــت حافظـــة هالكلام.

فتـــت ع غرفتهـــا، غمســـت وجههـــا بالمخـــدة، وصارت تبكي.

ســـيلين بصـــوت مكتـــوم: يـــا رب، تعبـــت، خدني وريحني.

مـــن بعـــد هالزيـــارة، ســـيلين بطلـــت تحكـــي مع حدا.

أيام المدرسة صارت تقيلة، وكلام الناس ونظراتهم كانت أقسى من التعب الجسدي.

"أوقات الصوت بيصرخ جواتنا، بس ما بيطلع. مو لأنو ما بدنا نحكي، بس لأنو ما حدا ناوي يسمع."

كلام البنات كان جارح، وسيلين تسمع وتسكت، ترجع عالبيت وعيونها حمر.

ديما بحزن وهي تضمها: الله ما خلقك ناقصة، ولا غلط. نحنا معك دايمًا.

سيلين: يمكن الله ما خلقني غلط، بس العالم شايفيني هيك.

قرروا أهلها يغيّروا المدرسة، بس المشكلة ما كانت بالمكان، المشكلة كانت بنفوس العالم.

نفـــس التنمّـــر، نفـــس النظـــرات، ونفـــس الوحدة.

"مـــا كنـــت ناقصـــة، بـــس كنـــت وحيـــدة. مـــا فـــي حـــدا ســـمع صـــوتي، ولا حتـــى صـــوت أنيني."

لكن بالبيت كان في سند.

أمهـــا، أبوهـــا، وأخوهـــا الصـــغير مـــا تركوهـــا لحظة.

كـــل مـــرة ترجـــع حزينـــة، يحيطوهـــا بحـــب ودفا، وكأنهم جدار بيحميها.

صارت الموسيقى مهربها الوحيد.

تحـــط الســـماعات، وتكتـــب، وترســـم علـــى الهامش قلوب مكسورة وعيون دامعة.

وبليلة، فتحت حساب بالسوشال ميديا، مو لتتواصل، بس لتكتب وتفضفض بصمت.

بهالمرحلة تعرّفت سيلين على صديقة افتراضية اسمها "إيلين"، كانت متفهمة، صادقة، وبتضحكها، أقرب وحدة صارت لسيلين.

كل يوم يحكوا، يضحكوا، يشكوا لبعض، ويحلموا مع بعض.

إيلين: سوس، انتي بتعرفي إني بحبك أكتر من حالي؟

سيلين بضحكة خجولة: ولي! شو في؟ عم تخوفيني.

إيلين: بدي خبرك شي... أنا معي مرض بالقلب، فتحة خلقية، من وأنا صغيرة.

سيلين منصعقة: ليش ما خبرتيني من قبل؟

إيلين: ما بدي زيدك همّ، اللي فيكي مكفّيكي، أنا شايفتك عم تحاربي، فقلت خليني أنا خبي وجعي شوي.

سيلين وعيونها عم تدمع: بس أنا كنت رح كون جنبك، مثل ما انتي كنتي جنبي.

إيلين: أنا بشوفك أخت، وروح تانية، بس هالفترة يمكن ما عاد افتح الجوال، أهلي محافظين ومتشددين ومش مرتاحين للنت.

سيلين: لا تروحي، وعديني إنك ترجعي.

إيلين بهمس: وعد، وإذا ما رجعت، اعرفي إني كنت بحبك كتير، خليكي قوية لا تزعلي.

وسكّرت الحساب؛ الصورة تغيّرت: "مغلق مؤقتًا، يمكن يوم، يمكن شهر، يمكن طول العمر."

مرّ شهر، سيلين كل يوم تبعت، وتنتظر، ولا رد، لحد ما شافت صورة على ستوري بنت عم إيلين: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون، رح نشتقلك يا صغيرة العيلة."

كانت الدموع سابقة عقلها، راحت تبعت تسأل: إيلين رفيقتي وين؟

بنت عمها: عطتك عمرها، ادعيلها بالرحمة.

كل شي توقّف: الصوت، النفس، الدم، القلب.

حسّت حدا سحب منها نصّها، إيلين كانت الوحيدة اللي فهمتها، وراحت.

سيلين صارت تنهار، كل شي توقّف: النفس، الصوت، الدم، والأمل.

أهلها ضموها، وبكوا معا، وأبوها قال: يا بنتي، نحنا هون، ورح نضل هون.

حتى الطبيبة النفسية اللي راحت لعندها، قالت بعد ما سمعت قصتها: في حب بيكون شفاء، وإذا راح، بيرجع الوجع كله.

كل الناس كانت تذكرها بمرضها، حتى القريبين منها، بس أهلها كانوا يذكروها دايمًا بقيمتها، بجمالها الداخلي، وبإنها مش لوحدها.

"أنا ما طلبت المرض، ولا طلبت الوجع، بس ما عاد بدي شي من حدا."

قررت تسكّر على الكل إلا رب العالمين، رجعت تصلي، تبكي على السجادة، وتقرأ قرآن، لبست النقاب، وبلشت تحس بقيمة حالها، صارت تحب عقلها، صبرها، وإنها مختلفة.

"الوجع خلاني قوية، والدين رجّعلي روحي."

مش كل مريض ناقص، ومش كل وجع ضعف، ومش كل حب حب، بس كل قرب من الله شفاء.

سيلين رجعت تعيش مو متل الناس، بس متلها هي، بقلب مؤمن، وعقل واعي، ونفس راضية.

رجعت تمسك القلم، وفتحت دفتر جديد، بس هالمرة ما كتبته لتبكي، كتبته

لتشارك، وكان أهلها أول قارئين، وأكبر مشجعين.

كتبت عن القهر، عن الألم، عن الصبر، عن النور، وكل حرف كان صادق، طالع من قلب موجوع صار قوي.

صارت تنشر مقالاتها على الإنترنت، وبعدين جمعت كتاباتها، ونشرت أول كتاب بعنوان: "مش ناقصة"، وصار الناس يقروا كلامها، ويتأثروا، ويبكوا، ويتعلّموا، وأهلها واقفين جنبها فخورين بكل حرف.

"أنا مش ناقصة، أنا كاتبة، وجعها صار حكاية، وحكايتها صارت أمل."

❋ ❋ ❋

"الملاك"

كان "جاد" ماشي بطريق مظلم: تعاطي، خراب بيوت، عصبية، ضياع.

كل يوم بيمرق كان عم يبعده أكتر عن حاله، عن ربه، عن قلبه.

"كنت ماشي، بس ما كنت عايش. كنت أتنفس، بس ما كنت حاس بشي."

جاد بليلة، قاعد على زاوية شارع، سكران، شاحط على الأرض، إجت بنت غريبة، مدّتله مي وقطعة خبز، وقالتله: "الرب ما خلقك هيك، قوم."

ما كان بيعرف اسمها، بس من هديك اللحظة بلشت القصة.

اسمها كان "ليان" وما كانت متل أي حدا عرفه.

ما حكمت عليه، ما شافته مجرم، شافت فيه شي هو نسي إنه موجود: إنسان.

بلشت تحكي معه عن الله، عن الرحمة، عن فرصة جديدة.

كانت تاخده عالجامع، وتقلّه: "الله عم يستناك، مشان ترجع، مو ليحاسبك، بس ليغسّلك."

جاد بلّش يتغيّر.

ترك كل شي، بلّش يصلي، نظّف نفسه، رجع يشتغل بشرف، وصار يقول: "أنا ما رجعت كرمالها، أنا رجعت كرمال الله، وكرمال نفسي."

بس بعد شهور قليلة، ليان اختفت.

لا رقم، لا عنوان، لا خبر، ولا وداع.

وكأنها حلم مرق وراح.

دوّر عليها بكل مكان، ما لقى شي.

بس تركتله رسالة صغيرة كانت بإيده من قبل وتناساها، مكتوب فيها: "أنا مهمتي خلصت. ما أجيت لأبقى، أجيت لتقوم. إذا بتحبني، صلي. وإذا بتشتاقلي، ساعد غيرك يفيق، متل ما أنا فيقتك."

اليوم، بسببها، صرت شب مختلف.

بشتغل بجمعية بتساعد المدمنين.

كل ما بشوف حدا واقع بمدّ إيدي، وبقله: "قوم، الله عم يستناك."

وبقلبي، دايمًا في صوتها: "الحياة أوقات بتبعتلك ناس، مو مشان تحبهم، بس مشان ينقذوك، ويمشوا."

ليـــان راحـــت، بـــس الصـــحوة يلـــي زرعتهـــا؟ ضـــــلّت، وعاشـــــت، وصـــــارت ســـــبب لصحوات غيري.

* * *

"حلو شعور الأمومة وإنك تكوني أم"

كانت هالجملة دايمًا تتردد بقلبي، مش بس لأنه حلم، لأنه إحساس، ونداء داخلي ما بيشبه شي تاني.

أنا أكتر شي كنت بتمناه إني أكون أم، إني أبني عيلة صغيرة مليانة حب، ودفا، وأمان.

بيت يكون فيه صوت ضحكة، وريحة خبز طالع من الفرن، وعيون صغيرة تقول: "ماما".

كنت أتخيل طفل صغير يركض لعندي، يبكي إذا غبت دقيقة، ويضحك إذا حضنته.

كنت أحلم إني أعلّمه أول كلمة، وأحكي له قصة قبل النوم. كنت أجهّز نفسي،

مو بس جسديًا، بل روحيًا. أنضج، وأصير قادرة أعطي حب بلا شروط. بس أحيانًا الحياة ما بتمشي متل ما بدنا.

صارت فيني ظروف، تأخرت، تعبت، حسّيت إني عم ابتعد عن حلمي شوي شوي.

صديقاتي صارن أمهات، وأنا؟ كنت أقنع حالي إني بخير، بس جوّاتي كان في فراغ كبير. لحد ما قررت إني ما أستسلم. مو كل أمومة بتبدأ بولادة طفل. في أمومة بتخلق مع العطاء، مع الحنية، مع الحب اللي منقدّمه للي حوالينا.

صرت أحنّ على بنت أختي كأنها بنتي، أحضن أطفال جيراني بمحبة، أساعد

أمـــي، وأعطـــي وقتـــي، وأهـــتم بتفاصـــيل صغيرة.

واكتشـــفت إنـــو "الأم" جـــوّاتي موجـــودة، حتى لو ما ناداني حدا بهالكلمة بعد.

مـــش كـــل شـــي منحبـــه بينحصـــر بشـــكل واحد.

يمكـــن الله يـــأخّر علينـــا شـــي، ليعلّمنـــا كيـــف نعيش قيمته بطرق تانية.

الأم مـــش بـــس يلـــي بتولـــد طفـــل، هـــي يلـــي بتـــزرع حـــب، يلـــي بتصـــبر، يلـــي بتعطـــي، وبتعيـــل، وبتحضـــن كـــل ضـــعف حولهـــا بدون شروط.

ويمكـــن بكـــرا ييجـــي هالطفـــل اللـــي حلمتـــي فيـــه، ويحملـــك كلمـــة "ماما" بصـــوت

صـــغير، بـــس كبيـــر لدرجـــة إنـــه يشـــفي ســـنين الانتظار.

فـلا تفقدي الأمل.

الحـــب الحقيقـــي دايمًـــا بيوصـــل، حتـــى لـــو مـــن طريق مختلف.

❊ ❊ ❊

"أنا بنتها، بس مش مثلها"

"مو كل خيانة بتكون بس قلبين، في خيانات بتقتل، بتدمّر، وبتدفن أرواح عايشة، أكتر وجع؟ لما تكتشف إنو موت أغلى حدا عليك كان متعمّد."

– ميس

جلست "ميس" قدّام الدكتورة "سيلا"، وعيونها فيها وجع قديم، مو من اللي بينحكى بسهولة...

كانت مترددة، بس صوتها أخيرًا نطق.

ميس: "كل حدا بيفكّر إنو أبوي مات بحادث... بس الحقيقة؟ الحقيقة أوسخ بكتير."

سيلا: "أنا جاهزة أسمعك، احكي متل ما بتحسي."

ميس شدّت نفس عميق وبلّشت: "أمي كانت دايمًا تضحك قدّام الكل. بس نحنا كنا نعرف، أنا وأبوي، إنو شي فيها مكسور، كانت ما تحبه، بس تضحك معه. كانت تطبخ، بس بدون حب، وأنا؟ كنت أفكّر هاد طبيعي، لحد ما دخل 'عماد' ع حياتنا."

"عماد" كان صديق قديم لأبوها، رجع ظهر فجأة... بلّش يزورهم، يضحك كتير، ويقرّب أكتر من اللزوم.

ميس شكت، حسّت نظرات أمها لإله مو بريئة بس سكِتت.

"بليلة من الليالي، سمعت صوت نقاش بالمطبخ. صوت همس وضحك، وبعدين

سكوت. قلبي وقع، بس كمان سكِتت. كنت خايفة أعرف."

وبعد شهرين، صار "الحادث". أبوها مات. وانقال إنه كان "حادث سير بسبب السرعة الزايدة". بس قلب ميس ما صدّق.

بعد الدفن، لاحظت إنو أمها ما بكت. ولاحظت أكتر إنو "عماد" صار يزورهم أسرع من قبل. وليلة من الليالي، شافته داخل ورا أمها على أوضتها... ما قدرت تسكت.

"واجهتها، صرخت، قلتلها: هاد بيت أبي!

صرخت بوجهي وقالتلي: أبوك كان عبء!

ما عاد قدرت أسمع أكتر."

بس الكارثة الحقيقية كانت بعد أسبوع، لما ميس شافت محادثة بين أمها وعماد، فيها جملة وحدة: "انتهينا منو، متل ما خططنا."

ميس انهارت. "أمي قتلت أبي. مو بإيدها، بس بعقلها، وبقلبها، وبخيانتها." هربت، أخدت أخوها الصغير، وسكنت عند عمتها. كبرت قبل عمرها بسنين، وصارت أم قبل ما تكون بنت. بعد سنين ميس صارت شابة قوية، مستقلة، شالت وجعها وسكّرته بمفتاح الإرادة.

رجعت عند سيلا، وبإيدها دفتر، قالتلها: "كل العالم شافوا فيني صورة أمي، بس

ما حدا شاف إني بنت الضحية، مو بنت الجانية. أنا بنتها، بس مش مثلها. هي خانت، بس أنا بدي أبني ثقة. هي دمّرت، بس أنا بدي أخلق أمان."

سيلا مسكت إيدها وقالت: "ما كل بنت بتشبه أمها، بس كل بنت بتقرّر تكون شو. وانتي؟ قررت تكوني حياة، بعد ما كنتي شاهدة على موت."

ميس طلعت من العيادة، ماسكة أخوها من إيده، وقالتله: "وعد، ما رح نكون مثلها. رح نكمل، ونعرف شو يعني عيلة حقيقية."

* * *

"كنت غلطة عمره"

"مش كل حب بينكتبله نهاية سعيدة. في حب بيكون درسك، مو نصيبك."

– رهف

رهف كانت تحكي عنه وكأنو الحلم يلي نزل على شكل إنسان. شاب اسمه "يزن"، حكى معا أول مرة بالصدفة، وكبرت الصدفة، وصارت عمر. ثلاث سنين ظلّوا مع بعض. ثلاث سنين كانت تحكيله كل شي: أسرارها، خوفها، ضعفها، حتى وجعها اللي ما حدا حس فيه، هو كان يسألها: "شو أكلتي اليوم؟ شو لبستي؟ اشتقتيلي؟"

وكانت تحس إنه بسأل عن روحها، مو بس يومها. كانت تعطيه من قلبها،

وهو؟ كان ياخد وما يعطي. بس كانت تحبّه. وكل مرة كانت تشك، تقنع حالها إنو الحب أعمى، والقلوب ما بتكذب. لحد ما إجا النهار الأسود.

رهف كانت قاعدة عم تقلب السوشال ميديا، وهي عم تضحك، شافت صورة صارت دموع.

"يزن، لابس بدلة، وواقف حد بنت، والمكتوب تحت الصورة: خطبنا، دعواتكم." انكسر فيها شي ما بيتصلّح.

"ما قلي، ما لمح، ما ودّع. ثلاث سنين حكي وكذب، راحوا بيوم. حسّيت حالي غبية، وحيدة، وساذجة."

حاولت تواجهه. كتبلها: "ما كان بينّا شي رسمي، انتي كبرتي الموضوع، كان تسلية، ما أكتر."

وتركها تقرا الكلام وتنفجر.

بعد شهور من البكاء، والتعب، والخذلان، رهف كتبت رسالة، حطّتها بدفترها القديم: "أنا حبيتك بصدق، وأنت خنتني بابتسامة. بس اليوم؟ أنا عم بشكر الله إنك مشيت. لأنك كنت درس، درس غالي، بس أنقذني من مستقبل أرخص." وقفت قدّام المراية، شافت بنت بشعر فوضوي، وعيون منتفخة، بس وراهم كان في قوة جديدة عم تطلع.

رهـــف قالـــت بصـــوت واطـــي: "أنـــا كنـــت غلطـــة بحياتـــك، بـــس أنـــت كنـــت حكمـــة بحياتي." وراحت تكمل حياتها.

مـــش بـــدها حـــب، بـــدها كرامـــة، ووعـــي، ونفس مرتاحة.

❊ ❊ ❊

"كانوا يبيعوني بس أنا اشتريت نفسي"

"أنا ما تربّيت، أنا اتكسّرت وتجمّعت لحالي، بس اليوم، كل جزء فيني صار شهادة على بنت ما بتموت."

– سارة

سارة بنت بـ 15 سنة، كانت تحب الدمى والألوان وكلمة "ماما شوفي رسميتي".

بس بيوم أمها قالتلها: "لبسي فستانك الأبيض، رح تتجوزي وتريحي راسنا."

سارة ضحكت ببراءة: "عن جد؟ مين العريس؟"

أمها نزلت عيونها وقالت: "واحد اسمه كرم من العراق، كبير شوي بس رح يعمّرلك بيت ويصرف علينا."

وهيك... انباعت. كرم، كان فوق الأربعين، وقلبه متحجّر. ما كان يعرف لا حب، ولا حنية. كان كل يوم يصرّخ، يضرب، ويقلّل من إنسانيتها. وبعد أشهر، ما اكتفى بالقهر، بل صار يشغّلها بشي ما بيرضي الله ولا بيرضي إنسان. حبسها، ومنعها تحكي مع حدا.

بس سارة؟ كانت كل ليلة تحط راسها عالوسادة وتقول: "إذا الله خلقني، أكيد ما خلقني مشان أتعذّب."

بيوم وهي عم تنظّف بيته، لمحت جواز سفرها، ومحفظته، ومفتاح سيارته. ما فكّرت، خافت، بس تحرّكت. ركضت، وساقت، وهربت من الجحيم. وصلت على بلد تاني، بلا حدا، بلا ليرة، بلا

سند. نزلت على ملجأ، نامت بالشارع. بس ما باعت نفسها، ولا رجعت، رغم كل القهر والجوع. بعد سنين، سارة كبرت. درست قانون، وهي عم تشتغل بالنهار وتدرس بالليل. ولما تخرّجت، رفعت أول قضية بحياتها ضد كرم. كان عندها إثباتات، وشهادات، ووثائق. وقفت بالمحكمة، وعينها بعينه، وقالت: "أنا البنت اللي اشتريتها، واليوم أنا المحامية يلي رح تشتري عدالة كل بنت متلي." كرم انسجن وانفضحت قصته بكل مكان. وأهلها؟ ندموا، بكوا، حاولوا يبرّروا. بس سارة؟ ردّت ببرود مؤلم: "كنتوا أهلي، بس ما كنتوا حضني."

حقّقت حلمها سارة، وصار عندها مكتب محاماة صغير، بس كبير بالحكايات يلي بتحكيها للبنات يلي فقدوا الأمل. على باب المكتب، في لوحة بتقول: "ما في شي اسمه مصير أسود، في قرارات بيضا بتتاخد بأشد اللحظات سواد." وسارة؟ صارت اسم، وصوت، وعدالة تمشي على الأرض.

❋ ❋ ❋

"ظلّ الخوف"

كريم كان شاب عادي بالنسبة للناس، بس جواه كانت في معركة ما حدا يعرف عنها.

الخوف كان ماشي معه متل ظلّه. مو خوف من شي معيّن، بس إحساس دايم إنو في خطر جاي، حتى لو الدنيا آمنة. بالليل كان يفيق فجأة على صوت قلبه يدق بسرعة، وبالنهار كان يتجنّب المواقف، الناس، والتجارب الجديدة. كان يعيش وكأن الخوف حارس على بابه، ما بيسمح له يطلع.

"الخوف مو بس بيحبسك، بيصغّر العالم حواليك." بيوم من الأيام كان ماشي بالشارع وشاف طفل صغير واقف بنص

الطريق، والسيارة جاية بسرعة. بدون ما يفكّر، ركض وأنقذ الولد. وقف كريم وهو يلهث، والناس حواليه عم تشكره، وفجأة حسّ إنو لأول مرة نسي خوفه، ولو للحظات. رجع عالبيت وهو عم يفكّر: إذا قدرت أتحرّك بهالموقف، ليش ما أقدر أتحرّك بحياتي؟ من هديك اللحظة، قرر كريم يواجه الخوف شوي شوي.

أول خطوة: يروح لمكان جديد لحاله.

بعدين: يحكي مع ناس ما بيعرفهم.

بعدين: يجرّب شي كان دايمًا يتجنّبه.

الخوف كان لسه موجود، بس صار أصغر. صار يعرف إنو كل مرة يواجهه، بيخسر جزء من قوته. بعد أشهر، وقف

كريم على مسرح صغير بمكتبة الحي، ليحكي عن قصته مع الخوف. إيديه كانت عم ترجف، بس صوته كان أوضح من أي وقت. حكى قدّام الناس، وانتهى التصفيق بابتسامة كبيرة على وجهه. "اكتشفت إنو الخوف ما بيروح نهائيًا، لكن لما توقف بوجهه، بيصير هو اللي يخاف منك." الخوف شعور طبيعي، لكنه ما لازم يكون قائد حياتك. هو مثل ظلّك، بيضل وراك، لكن إذا مشيت باتجاه النور، بيصغر. "الجرأة مش غياب الخوف، الجرأة إنك تتحرّك رغم وجوده."

❋ ❋ ❋

"بعد الخذلان، نور جديد"

رنا، بنت هادئة ونيّتها طيبة. انتقلت لمدرسة جديدة، كانت متوتّرة، بتحاول تلاقي مكان تنتمي إله. بتقعد بآخر الصف، وبتبقى ساكتة. بس بعد أيام إجت عندها بنت اسمها نيروز ومعها رفيقتين: هيا ولمى.

نيروز بضحكة مزيفة: ليش لحالك؟ تعي اقعدي معنا.

رنا بابتسامة خجولة: عن جد؟ شكراً.

صارت تمشي معهن، تحكي، تضحك، وتشاركهن أسرارها، بس ما كانت تعرف إنهن عم يضحكوا عليها من ورا ظهرها، ويستخدموا طيبتها لمصالحن،

مــرة ســرقوا دفترهــا، وصــاروا يقــروا شــو كاتبة قدّام الصف.

هيــا بصــوت عــالي: "بتمنــى كــون محبوبــة متلن"، واو! يا عيني عالثقة بالنفس!

ضــحك الصــف، ورنــا ركضــت تبكــي.

"أوقــات منفتكــر إنــو لقينــا أمــان، بــس بيكــون وهــم اســمه خيانــة." رنــا انســحبت مــن الكــل، مــا عــادت تحكــي ولا حتــى تطلــع مــن الصــف، الــدنيا صــارت رماديــة والثقــة راحــت، كــل يــوم كانــت ترجــع عالبيــت مكسورة.

أمهــا: شــو صــاير معــك؟ ويــن راحــت بنتــي البشوشة؟

رنــا وهــي عــم تبكــي: ماما أنــا غلطــت، وثقت بناس غلط.

بنهـــار خريفـــي، كانـــت قاعـــدة لحالهـــا بالساحة وإجت بنت قعدت جنبها.

بتول: مرحبا، فيني أقعد؟

كانـــت بنـــت اســـمها بتـــول، وبجنبهـــا كانـــت هدى بنت مرحة.

هـــدى: ســـمعنا إنـــو البنـــات أذوكِ، بـــس بصراحة، نحنا مو متلن.

بتـــول بلطافـــة: نحنـــا مـــا بنحـــب نصـــادق الكـــل، بـــس شـــفنا فيكـــي طيبـــة، وحبّينـــا نكون أصحابك إذا قبلتي.

رنـــا حسّـــت شـــي غريـــب بقلبهـــا... شـــي اســـمه "أمـــان حقيقـــي". "بعـــض النـــاس متـــل ضـــو القمـــر، بيجـــوا بعـــد عتمـــة طويلـــة، وبيخفّفـــوا الوجـــع بـــلا مـــا يحكـــوا كتيـــر."

صارت تمشي مع بتول وهدى، ضحك، جد، دعم، صمت حلو، وصداقة نضيفة.

رنا قامت من حزنها شوي شوي، رجعت ترسم، تكتب، وتعيش. بيوم من الأيام شافت نيروز وهيا ولمى قاعدين لحالن.

نيروز بهمس: شو، نسيتينا؟

رنا بابتسامة قوية: لا، بس بطّلت أستحق هالنوع من الناس.

"مو الكل بيستاهل قلبك." كبرت رنا وصارت تعرف تميّز، مو كل حدا بيقرّب بيكون خير، ومو كل بعد وجع في نهاية حزينة.

مع بتول وهدى عرفت شو يعني أخت، مش بس بالدم... بالروح.

"مـــو الكســـر اللـــي بيكســـرنا، هـــو الغلـــط إذا كررنـــــاه، فـــــي نـــــاس بتخـــــون، ونـــــاس بتـــــداوي، والحيـــــاة دايمًـــــا بتعطـــــي فرصـــــة تانية بس لازم نختار صح."

❊ ❊ ❊

"بسمة بعد الوجع"

آدم ونور كانوا يعرفوا بعض من هني وصغار، بنفس الحارة، نفس المدرسة، نفس الذكريات. يكبروا سنة ورا سنة، والقلوب تكبر معهم. آدم، شب بسيط، قلبه أبيض، وعيونه بتحكي أكتر من لسانه. ونور، بنت خجولة، بس بضحكتها في ضو بيعمي التعب. بعمر الـ17، صار الحكي أوضح، والمشاعر أصدق.

نور: آدم، بتصدق إنك أول وأكتر حدا بفكر فيه قبل ما نام؟

آدم بخجل: وأنا... إنتِ أول وآخر. كانوا يحكوا ساعات، يحلموا ببيت صغير، وأولاد، وسفر، وأمان. ما كان في شي

كبيـــر، بـــس كـــان فـــي حـــب كبيـــر. مـــرت ســـنين، كبـــروا شـــوي، وهـــو صـــار يشـــتغل ليقـــدر يصـــير شـــي قـــدّ نـــور. وهـــي دخلـــت جامعـــة خاصـــة، بيئـــة جديـــدة، نـــاس جـــدد. بـــس ضـــلّوا علـــى تواصـــل، علـــى وعـــد، علـــى حـــب صـــادق. كـــان يبعقلهـــا ورد علـــى بـــاب الجامعـــة. وكانـــت تبعتلـــه مســـجات مليانـــة حنيّة وقت استراحته بالشغل.

آدم: أنـــا عـــم ببنـــي مســـتقبلي مشـــانك، لا تروحي.

نـــور: شـــو هـــالحكي؟ أنـــا معـــك لـــو شـــو مـــا صار.

بيـــوم مفـــاجئ نـــور ســـكّرت تليفونهـــا، مـــا عاد ترد، ما عاد تبعت، ما عاد موجودة.

بعد أيام وصل لآدم خبر: "نور انخطبت لشخص عايش برا، بيشتغل ومرتاح ماديـاً، أهلها شافوا فيه فرصة." آدم حسّ إنو قلبه توقّف. ما كان عم يستوعب... كيف نور، اللي وعدته، تركته؟ كيف الحب اللي عاشوه، صار ذكرى؟ بكى... أول مرة بحياته يبكي من كسر، مش من تعب. "مو كل حب بنعيشه بيكمل، وفي ناس منحبّن، بس ما بيكفّي." مرت شهور وآدم ضلّ عايش عالهامش، كل شي حلو صار يذكّره فيها: الشارع، الرسائل، العطر، وحتى الوردة اللي نشفت بكتاب قديم. حاول ينسى، بس ما قدر. صار يشتغل

ليل نهار، مشان ما يفكر. بس الوجع كان أقوى من التعب.

بيوم فات على مكتبة صغيرة ليشتري دفتر. البياعة كانت ست كبيرة، شافت الحزن بعيونه.

الست: مالك؟ قلبك وجعان؟

آدم بابتسامة حزينة: ما عاد فيني أحب.

الست: لا تقول هيك، الحب الحقيقي ما بينكسر... بس بيتعلّم. رجع على البيت، فتح الدفتر وكتب أول صفحة: "أنا ما خسرتك، أنا ربحتني، كنت عم بدوّر على حب، بس لقيت ذاتي."

"رجعة آدم" بعد سنتين صار آدم كاتب، نشر كتاب اسمه: "وما كنت إلها" حكى فيه عن الوجع، عن الحب، عن

الخـــذلان... وعـــن النهـــوض. الكتـــاب انتشـــر، وكســـب احتـــرام نـــاس كتيـــر. صـــار يلقـــي محاضـــرات عـــن العلاقـــات، والشـــفاء، والنضـــج. ونـــور؟ رجعـــت تقـــرأ عنـــه مـــن بعيـــد. حياتهـــا مـــا كانـــت متـــل مـــا تخيّلـــت، وقـــلّ الضـــحك مـــن عيونهـــا. بـــس آدم؟ كـــان واقـــف شـــامخ، نضـــيف، ومـــتعلّم. "فـــي نـــاس بتجـــي تعلّمنـــا الحـــب، وفـــي نـــاس بتعلّمنـــا نحـــب حالنـــا، وآدم اختـــار يحـــب حالـــه." مـــو كـــل حـــب لازم يكمـــل ليكـــون حقيقـــي. يلـــي بيتركـــك، مـــش ضـــعف منـــك... يمكـــن ضـــعف منـــه. النضـــج الحقيقـــي؟ لمـــا توجـــع وتقـــوم. والقيمـــة الحقيقيـــة؟ مـــش مـــين حبـــك، بـــس مين ما غيّر قيمتك رغم الوجع.

* * *

"أنا الكبير يعني أنا الكل"

"بوقت ما كنت جاهز كون أب، ولا كبير، ولا مسؤول، بس لما الوجع ما بخيّرك، بتختار تكون جبل، أو تكون تراب، وأنا اخترت أكون جبل، حتى لو كل يوم بينهار مني شوي."

– عادل

عادل، شاب بعمر الـ23، ما كان بدّه من الدنيا غير يعيش بسلام مع أمه وأبوه وأخوته الصغار. بس الحياة ما سألت شو بدّه. حادث سير خسر فيه أهله اتنين. أمه وأبوه راحوا بلحظة وتركو وراه ثلاثة أطفال عيونهم ما بتعرف غير وجهه. من وقتها صار "الكبير" غصبًا عنه. ما عنده بيت، ولا دخل، ولا حدا

يسنده. راح يقدّم على شغل، قالوله: "ما في خبرة، ما في شهادة، ما في مكان إلك."

قدّم عغيره، وانرفض. باع موبايله، وباع كل شي يملكه، واشترى خيمة. نصَبها بزاوية مهجورة، وسمّاها "بيتنا". يطبخ بإيده، يدرس إخواته، ويفرشلهم الأرض بإيده، وكان دايمًا يحكيلهم قبل ما يناموا: "إذا بكرا جِعنا، ما تزعلوا... أنا رح لاقي شغل."

بس الجسم تعِب، والمعنويات نزلت. وفي ليلة شتوية، وهو راجع بدون شغل وبدون أمل، وقع. وقع بوجهه بالأرض، بردان، جوعان، ومنهار. بس لما سمع

صـــوت أختـــه الصـــغيرة عـــم تصـــيح: "عادل؟! وينك؟"

عـرف إنـه مـا إلـه حـق ينهـار. وقـف، مسـح دمعـه، وحلـف: "طالمـا أنـا بتـنفس، إنتـو رح تعيشوا."

بـاليوم اللـي بعـده، طَـرق بـاب فـرن، وطلـب شـغل بـأي شـي. نظّـف الأرض، غسـل الصـحون، واشـتغل بـلا كرامـة، بـس بكرامـة قلبـه. كـل يـوم، يرجـع لعنـد إخواتـه، ومعـه خبـز وضـحكة مزيفـة، بـس صـادقة بالحـب. مـرّت سـنة. أخـذ منظمـات تسـاعده، وسـاعدوه يكمّـل دراسـة مسـائية. تخـرّج، وصـار موظـف رسـمي، وقـدّم علـى بيت صغير بالإيجار.

وفي يوم عيد ميلاد أخوه الصغير، جابله كيك صغيرة، وكتب عليها: "كبرت لأنو فيني، ووقفت لأنكن ورايي."

اليوم، عادل صار موظف بسيط، وعنده بيت صغير. بس بيقول دايمًا: "أنا ما نجحت لأنو الطريق كان سهل، نجحت لأنو ما خليت شي يكسر قلبي أكتر من حبي لإخواتي، ولما يكون عندك سبب تعيش عشانه، بتصير الحياة أهون، حتى لو كل شي ضدك."

❋ ❋ ❋

"بيت من تراب"

رامي كان عنده كل شي: بيت واسع، سيارة جديدة، شغل ثابت، وحياة محسوبة خطوة خطوة.

ما كان يتخيّل إنو بيوم واحد، ممكن يخسر كل هالأساس اللي تعب عليه سنين.

في نهار خميس، رجع من شغله، لقى باب البيت مفتوح، وأوراق المحكمة على الطاولة: الشركة اللي بيشتغل فيها أعلنت إفلاس، وأرض البيت فيها مشاكل قانونية.

كل شي كان إله، صار مهدّد يروح.

جلس على الأرض، ماسك راسه، كأن الجدران عم تضيق عليه. مو بس

البيت... حسّ إنو خسر نفسه. مرّت أسابيع وهو عاطل عن العمل، يتنقّل بين بيوت الأقارب. كل مكان كان يحسّه مؤقّت، كل يوم كان بلا معنى. اللي وجعه أكتر من الخسارة المادية، هو شعور: "ما عاد عندي مكان أنتمي له."

صار الليل أطول، والنهار أفرغ من الصمت. "أصعب من الجوع، إنك تحس حالك بلا أرض، بلا جذر." بيوم، كان ماشي بالشارع، وشاف عمّال بناء عم يبنوا بيت جديد. وقف يراقبهم، وشاف الأساس قبل ما يطلع أول جدار. فكّر: "يمكن أنا كمان لازم أبدأ من الصفر... وأبني أساس جديد."

قـــرر يـــتعلّم مهنـــة جديـــدة: النجـــارة. أول فتـــرة كـــان شـــغله بســـيط: إصـــلاح طـــاولات وكراسي قديمة.

بعـــدها صـــار يشـــتغل علـــى مشـــاريع أكبـــر، ويبيعهـــا أونلايـــن. مـــع كـــل قطعـــة كـــان يصـــلّحها، كـــان يحـــسّ إنـــو عـــم يصـــلّح نفســـه. صـــار عنـــده زبـــاين، وأول دخـــل ثابـــت بعـــد شـــهور طويلـــة. بعـــد ســـنتين مـــن التعـــب، اشـــترى رامـــي شـــقّة صـــغيرة. مـــش واســـعة، ولا فخمـــة، لكنهـــا كانـــت مـــن عـــرق جبينـــه، وعلـــى أســـس أقـــوى مـــن قبـــل. وقـــف علـــى شـــرفة بيتـــه الجديـــد، وقـــال بصـــوت واطـــي: "هـــالمرة البيـــت مبنـــي جـــوّاتي قبـــل ما يكون حوالَيَّ."

كل سقوط هو فرصة لتبني أساس أقوى.

البيت الحقيقي مش الجدران، البيت هو الأمان اللي تبنيه جوّاتك.

الخسارة أحيانًا بتكون بداية الطريق، مش نهايته. "إذا راحت الأرض من تحتك... ابني جناحاتك."

❊ ❊ ❊

"العودة من حافة الظلام"

رغد كانت بنت هادئة، تحب الكتب والرسم، وما تحب تختلط بالناس كثير.

لكن من عمر الـ16، صار عندها فضول غريب... فضول لتجرب أشياء غامضة وتدخل أماكن مظلمة.

بدأت تشوف أشياء ما حدا غيرها يشوفها: ظلال تتحرك في زوايا الغرف، أصوات همس في الليل، أحلام ثقيلة مليانة وجوه مخيفة. بدل ما تهرب، كانت تحاول "تجرب" وتشوف أكتر.

كانت تقول لنفسها: "يمكن خيال، يمكن وهم... بس بدي أعرف."

مع الأيام، صار الليل أكثر رعبًا. تحس كأن في عيون تراقبها حتى وهي لحالها،

وأصوات تنادي اسمها. صرختها ما كان يسمعها أحد. بدأت تتغيّر: وجهها شاحب، ضحكتها اختفت، وصارت عصبية ومتوترة. حتى أهلها حسّوا إن في شي غريب صاير معها. ليلة باردة صحيت رغد على صوت طرقات خفيفة على باب غرفتها. فتحت الباب... ما كان في حدا.

لكن على الأرض، كان في ورقة مكتوب فيها: "رجعي قبل ما يفوت الأوان."

حسّت قلبها يوقف. وقتها تذكّرت كل مرة تجاهلت فيها الصلاة، وكل مرة أغلقت المصحف وهي قادرة تكمل. وكأن الرسالة مو من بشر، بل تحذير من الله.

في الصباح، جلست رغد على سجادة الصلاة بعد غياب طويل. أول تكبيرة... حسّت الدموع تنزل بدون ما تدري. فتحت المصحف، قرأت صفحة، ثم صفحة أخرى، ثم شعرت براحة ما حستها من سنين. بدأت تحفظ القرآن آية آية، وكل ما كانت تحفظ أكثر، كانت الأصوات تضعف، والكوابيس تختفي.

صارت تقول الأذكار قبل النوم، وتقرأ سورة البقرة في البيت. بعد أشهر، رغد تغيّرت تمامًا. صارت ملامحها هادئة، وابتسامتها راجعة، وعيونها مليانة نور. حتى أهلها لاحظوا إن البيت صار فيه سكينة غريبة. وصارت تحكي للناس قصتها، وتحذّرهم من الفضول اللي يفتح

أبـــواب الظـــلام. بعـــض الأبـــواب لازم تضـــل مغلقـــة، حتـــى لـــو الفضـــول يلـــحّ علينـــا. أقـــوى ســـلاح ضـــد الخـــوف هـــو الإيمـــان والقـــرآن. النـــور الحقيقـــي يبـــدأ مـــن الســـجدة الأولـــى بعد الغياب.

"اللـــي بيحتمـــي بكـــلام الله... مـــا بيخـــاف مـــن شي."

❊ ❊ ❊

بكل قلم قصة

"قصص مختلفة لكن خيط واحد
يجمعهن أن السقوط مو يعني النهاية،
وفي قلب كل وجع في بذرة أمل
بتستنى نسقيها بالإيمان والصبر
الكتاب هاد مو بس مجرد حكايات هو
مراية يمكن تشوف فيها حالك وايد عم
تمسك فيك لتوقف من جديد"

أسماء هيثم حمود

نسمات الأدب
للنشر الإلكتروني

تصميم الغلاف: رزان محمد كليب